



- يكفيوني أنني فقدتُ أخي؛ أنا "بطلت ثورة"!

- وأنا يكفيوني أنني خسرت مالي وانتهيتُ مشرداً مختوماً على جبني بختم الدوام: لاجي؛ أنا "بطلت ثورة"!

- أنا يكفيوني أنني خسرتُ زوجي، وأقف شهرياً ليومين أو ثلاثة أمام الجمعية أخشى أن تفوتي الكفاله لأيتامي؛ أنا "بطلت ثورة"!

- صحيح أنني لم أكن أكثر من عنصر أمن؛ لكنني كنتُ في خيرٍ وعزٍّ وسلطة، وأعلنتُ انشقاقي نصرةً للثورة، لكنني انتهيتُ ولا أحدَ يردّ علىَ السلام أو يُلقي لي ثمن الخبر؛ أنا "بطلت ثورة"!

- صحيح أنني كنت معلمةً، لكن رواتبنا تحسّنت في آخر فترة، وصرتُ مع زوجي نكسب من الدروس الخصوصية أكثر من الراتب، وترانااليوم بشهادات تملأ مصنفات ولا شغل؛ نحن "بطلنا ثورة"!

- بقينا لسنواتٍ في الحصار، ولو لا أننا أخرجنا ما خرجنـا، لكننا ظننا أننا في حصارنا وجوعنا ندافع عن البلد كلها، وأن الناس سيحملونـنا علىِ أكتافهم، فصرنا نعمل ليل نهار لدرك أجرة البيت ولا ندركـها؛ نحن "بطلنا ثورة"!

- ثورة أيش وأنا وأهلي كل واحد في بلد، حتى موتنا شتتوا؛ فوالدي تُوفي في لبنان ودُفن هناك فحرمنـا من بركتـه حياً ومن زيارة قبرـه ميتـاً، وزوج اختـي تُوفي بالسرطان في مشافي ألمانيا ودُفنـ هناكـ فما حضر جنازـته إلا أبناؤـه وبضـعة رجالـ، وأنا إنـ متـ هناـ فليسـ عنـديـ غيرـ أولـاديـ وبـعـضـ الأـصـدقـاءـ؛ أنا "بطلـتـ ثـورـةـ"!

- يا أخي! كلـهمـ حرامـيةـ ولـصـوصـ؛ جـربـتـ العملـ معـ المشـايخـ والـعلمـانـيينـ، يـبعـونـناـ الكلـامـ المعـسـولـ لـيـأكلـواـ البيـضاـ

وقد شرحتها، ودون أية عقود عمل أو مدونات سلوك أخلاقي؛ إلا اللهم ما نُبَرِّزُهُ لِلزَّائِرِينَ نُضْحِكُ عَلَيْهِمْ بِهَا؛ "أَنَا بَطَّلْتُ ثُورَةً"!

- كلّم أهون حالاً مني؛ فماذا بقي لي وقد خسرت ساقي ويدبي، ثم رُميَت في دار للجرحى نجاهد أكثر من جهادنا النظام لنجعل على أجرتها شهرياً وقد تركتني زوجتي ولحقت بأهلها؛ "أَنَا بَطَّلْتُ ثُورَةً"!

لا ثورة في التاريخ ينعدم كل ما سبق من بلاء؛ ولربما أكثر إن نظرنا في ثورات الأنبياء في مجتمعاتهم، لكن أحداً من الأنبياء أو الصالحين المصلحين قال: "بَطَّلْتُ"!

الثورة فكرة، والفكرة لا تموت ما دامت سُقِيت بالدماء، فلا بد أن تنمو وتُتمِّر، ومحرومٌ من يترك "يبطل ثورة" قبل أن يفرح بالсмерة.

نعم؛ مِنْ حَقِّ الْمَصَابِ الْمَصْدُورِ وَالْمُبْتَلَى أَنْ يَنْفَثُ، وَ"بَطَّلْتُ ثُورَةً" لَا تُحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ أَكْثَرُ مِنْ زَفْرَةٍ أَوْ نَفْثَةٍ مَصْدُورٍ؛ وَإِلَّا فَمَنْ دَفَعَ تَلْكَ الْأَثْمَانَ مِنْ إِصَابَةٍ وَالْقَتْلِ وَالتَّشْرِيدِ أَنْ يَقْبَلْ بِنَصْفِ ثُورَةٍ، لَأَنْ نَصْفَ ثُورَةٍ اِنْتَهَارٌ كَمَا يَقُولُ.

نعم؛ أخطأ المشايخ والقادة والمسؤولون في العمل العسكري والعمل الإنساني والعمل السياسي، لكنها أخطاء لا تسقط الثورة من عيوننا، وإن انصرفنا إلى أعمالنا لإعالة أهلينا وأحبابنا فهذا لا يعني نكران الثورة أو تركها، فلنرجع إلى الإيمان؛ فالجهاد ليس بالسلاح وحده، فقد يفتح لإنسان في الجهاد بالمال ما يعجز عن مثله في جهاد اليد، وقد يفتح عليه في جهاد الكلمة ما يفوق مَنْ يدفع مَالَه؛ دون إنكار فضيلة الجهاد باليد على أنواع الجهاد كلها.

لكن الحديث وقد طالت المحنة وأرهقت الناس، وتکاد الواقع تكون ثابتة؛ فمن مجاهد لا يرضى بالرباط بدليلاً، أو عاملٍ في الخدمات الإنسانية ترك شهادته وأثرَ الانتفاع والنفع؛ ولا ضير! ومن عالمٍ يعُكِّفُ على الدرس والتحقيق ليخرج للناس بما يهمُّهم في النوازل التي تطرّقُ لهم ولا أثر لها في كتب الفقه والحديث، أو مشتغلٍ في الدعوة والتعليم يصارع الحياة ليكمل شهره بلا دينٍ تضطره لترك مهنته، ومن تاجرٍ رجع إلى تجارتِه وعمله فهو يحمل نفسه وآخرين معه.

وكل أولئك على خير ما لم يتركوا الثورة وأهلها؛ فالبلد لا تنهض على حِرَابِ المجاهدين وحدهم، ولا بأقلام المتعلمين والمثقفين وحدهم، ولكن!

لا يُبرِّرُ للتجار عاد إلى عمله أن ينسى المحتاجين أو يتعالى عليهم بما فُتحَ عليهم فيه، ولو أن كل التجار السوريين حملوا من يستطيعون لَاكتفى كثيرون عن السؤال وال الحاجة.

والمرابط ارتضى أن يبقى في فوهـة البندقـية ليقاتلـ عـنا؛ نـعمـ، يـقـاتـلـ عـناـ جـمـيعـنـاـ، فـبـمـاـ نـقـاـيلـهـ؛ نـخـلـفـهـ فـنـقـدـمـ لـهـمـ ما نـسـتـطـعـ مـنـ غـذـاءـ وـدوـاءـ وـمـسـكـنـ وـتـعـلـيمـ، وـلـاـ يـكـلـفـ اللـهـ نـفـسـاـ إـلـاـ وـسـعـهـاـ.

والعامل في المجال الإنساني يسعى ويرى مِنَ الأخطاء ما يبغض العمل إليه؛ لكن ليتذكر أنه مسؤول عما ائتمن عليه، ولا يسكت عن خطأ أو احتيال وإن كلفه ذلك تغيير العمل مرات ومرات، ولينظر في فرحة المستفيد ودعواته له، وليصمم أذنه عن وابل الشتم والسباب؛ فالعامل في الشأن العام لابد أن يتصدق بعرضه، فإن عجز عن الاحتمال ورأى الانصراف إلى عمل تجاري فليس بعظيم ولا خروج عن الملة؛ ول يكن للمحتاجين خيراً مما كانوا عليه من آثر تركهم له.

والطالب ينصرف إلى دراسته وجامعته فتح الله عليه؛ ولكن لن يعجز عن مناصرة الثورة والمحتاجين بمنشور أو كلمة طيبة، ولعل بيان الثورة وأهلها في الوسط الذي يدرس فيه يفتح به أبواب تعجز قوى الثورة كلها عن فتح مغاليقها.

والوالدان مع أولادهم في بلدان اللجوء ما يضرّهم لو أنهم تابعوا أخبار البلد والمحتجين، فقالوا خيراً وبذلوا ما يستطيعون؛ بعيداً عن البراءة من الثورة وأهلها والطعن في العاملين لأنهم بلغوا بر الأمان، وكأنهم لذلك ثاروا وخرجوا.

فَلتُقصِرُ الألسنة عن الحديث في الفتنة وغير المفيد، وتطول الأيدي في العمل؛ فما زال الحق غريباً منذ بدأ الدين، فلا نعجز لكثرة العاجزين المثبتين، ولا نسرق لكثرة اللصوص والمارقين، ولنجتهد في الممكِن المتاح؛ فهو المنوط بنا والمسؤولون عنه.

محال أن يبقى إنسان على حاله من النشاط والهمة بشكل متواصل في عمله؛ سواء كان عملاً لكسب القُوت، أو عملاً في وجوه الخير للناس، ولعله في أبواب الخير أجَلَ وأوضح؛ فقد يجد في كسب النقود وهو يراها بعينه تزيد في رصيده، ويفتر هناك لأن ثمار عمله قد تكون غير ملموسة بشكل مباشر!

ولعل العمل الذي تدخل به الجنة لم يأتِ بعد؛ فلا تفتر!

لعل الحجر التي سترقى بها نحو المعالي لم تضعها في البناء بعد؛ فأكمل!

لعل الإنسان الذي إن انتفع بك فيدعوك دعاء يرفع عنك الله به بلاه لم تجده بعد؛ فلا تبعد!

لعل إنساناً فقيراً أو يتيماً يجلس دون غذاء أو دواء لا يزال ينتظر لطرق بابه وتساعده؛ فاذهب نحوه!

لعل أرملةً أو ثكلىً ما زالت على سجادتها في خيمتها تسأل ربها إنساناً يشعر بألماها مع أطفالها يُجزى بذلك الجنة؛ فبادر وكن أنت!

لعل طفلاً ينتظر من يدفع إليهم حقيبة وقرطاسية ليتعلم، فيكون قائداً في مسيرة الإعمار يرقب من يكفله مع ألف آخرين؛ فاذهب نحوهم ولا تفتر!

ولنذكر حديث (إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلَيَعْرِسْهَا)؛ فهو دستور في الهمة.

المصادر: